وانطفأت النار بعد أن أكلت كل شيء ولكن جذواتها بقيت حارة لبضعة أيام وعاد اللاجئون الى الخرائب وبدت موسكو مثل كومة من الرماد يبحث بين أنقاضها منقبون فريبو المظهر قد اسودت أيديهم ووجوههم عسى أن يجدوا شيئاً من رفات أمواتهم أو بقايا من ثرواتهم التي أكلتها النيران . ولكنهم لم يبقوا هناك طويلاً لأنه لم يكن هناك ما يمكن أن يؤكل طوال ما كانوا يبحثون . ثم ابتعدوا يلتمسون في القرى والأديرة التي تحيط بموسكو شيئاً من المساعدة والعون . فممّ كانوا يتذمرون وماذا كانوا يقولون ؟. نحن نجهل ذلك . كل ما أمكن حصولنا عليه منهم أنهم كانوا يؤمنون بأن الحريق إنما كان نتيجة سحر ، فقد كانت هامة(*) تخرج الأموات من قبورهم وتنتزع قلوبهم وبعد أن تسحقها في الماء المقدس كانت ترش بهذا الخليط شوارع موسكو .

وقد قبل بهذه الثرثرة مرشد القيصر الديني واعداء الأميرين غلينسكي وأعطى بعضهم لهذه الإشاعة شكلاً مشؤوماً حيث رووا أن أنا والدة هذين الأميرين قد مارست هذا العمل الرهيب بقلوب من جثث الموتى . فأمر القيصر بإجراء تحقيق . وفي يوم الأحد السادس والعشرين من حزيران يونيه أي بعد خمسة أيام من انتهاء الحريق تم استجواب عدد كبير من الناس ينتمون الى طبقات المجتمع الدنيا في ساحة الكريملين . وكانت قصة آل غلينسكي قد تضخمت واصبحت على كل لسان . وكان الأمير يوري غلينسكي موجوداً بينما كان أخوه ميشيل في رزهيف مع امه أنا . واستمع يوري تلك القصة السخيفة عن سحر امه بقلة اكتراث دون أن يشعر بما كانت تتعرض له مكانته من اخطار ، فقد كان له أعداء بين زملائه من النبلاء المكلفين بالتحقيق .

ثم فكر بأن من الحصافة أن يذهب دون أن يشعر به أحد ويدخل الى كاتدرائية الصعود . وكان ينبغي لرجل أبعد نظراً وأكثر شجاعة أن

(*) روح ميت تغادر القبر وتمتص دماء النائمين من الأحياء . — المترجم —